

## كلمة تكريم المكتبة المغاربية بن عروس 4 ماي 2024 - س 10 و 15 د

### كلمة شكر وتقدير

بداية، لا يفوتني ان أشكر كل الذين فكرو وسعوا وشاركوا وساهموا ونظموا هذا التكريم على هامش هذا الملتقى الذي يلتئم حول أهمية المطالعة ودورها في الحد من الانقطاع المدرسي في المكتبة المغاربية بن عروس.

أشكر كل من المدير العام لمركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية (CERES)، أشكر المندوب الجهوي للثقافة ومديرة المكتبة المغاربية وجمعية أحياء الكتب بن عروس الذين أتاحوا لي فرصة التواجد بينكم اليوم في هذا الملتقى الذي يتناول "دور المكتبات العمومية في مقاومة ظاهرة الانقطاع المدرسي: التحديات والمقاربات والاستراتيجيات" يومي 4 و 5 ماي بالمكتبة المغاربية بن عروس.

أخص بالذكر هنا السيد الحبيب حسن اللولب الذي كان صاحب الفكرة وكان قد خاطبني في هذا الباب منذ خمس سنوات ولكن جائحة كورونا حالت دون ذلك لعدة سنوات حيث أغلقت الحدود وتغيرت الأولويات وشحت الموارد وقلت اللقاءات، حيث تم تأخير الملتقى مرتين دون جدوى وكان الملتقى آنذاك يتمحور حول إصلاح التعليم العالي فيما أتذكر.

كما أشكر كذلك السيد إبراهيم العمري الذي عرفته منذ عدة عقود في إطار مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، على التقديم الضافي والوافي لمختلف الجوانب في مسيرتي العلمية وكنت آنذاك من بين المشرفين على دراسة حول الهجرة الخارجية في اتجاه أوروبا ودراسة حول الهجرة من المهديّة نحو إيطاليا في إطار دراسة مع جامعات إيطالية وقد تم نشر هاذين الدراستين من طرف المركز.

بهذه المناسبة اشكر كذلك السيد يوسف بن عثمان مدير مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية الذي شرفني بتكليفني بتصدير مؤلف "أطلس الانتخابات الرئاسية لسنة 2014" الذي قام مخبر البحث سيفاكت (SYFACTE) بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس بإعداده وقد تم نشره من طرف المركز منذ سنتين او ثلاث.

### بين نظري والتطبيقي

في الواقع تميزت مسيرتي الاكاديمية بالمرآوحة والمزج بين التكوين النظري والتكوين العملي والميداني وهو ما مكنتني من الربط بين قطبين مختلفين ولكن متكاملين.

لقد التحقت بعد التخرج بإقليم تونس وهو مؤسسة تعنى بتهيئة العاصمة أنشأت سنة 1972 وتعنتني بمختلف جوانب التهيئة الترابية بتونس العاصمة وكانت فرصة ثرية جدا من حيث التكوين حيث انتقلت من مرحلة التكوين النظري الجامعي الذي يعتمد أساسا على التلقي والفهم وطرح التساؤلات إلى مرحلة مختلفة تماما تتمثل في معالجة المشاكل المطروحة على المجتمع وعلى الميدان مع ما رافقها من الاحتكاك بمختلف الاختصاصات (مهندسون، مهندسون معماريون، علماء اجتماع، رجال القانون، علماء اقتصاد، مختصون في التعمير والتهيئة، ...) والأراء المتباينة لمختلف الأطراف والقوى المتواجدة على الساحة انطلاقا من المواطن إلى الدولة ومختلف مؤسساتها الإدارية والتقنية ومن المستوى المحلي إلى الوطني وما فوقه أحيانا في نفس المكان الضيق للعاصمة أو للحي الواحد. هذا التمشي الجديد اتخلى تدريجيا عن طغيان الجانب النظري وتنسيبه وكذلك العمل على ابراز وتثمين الجانب التخصصي والنظر إلى المسائل المطروحة من زوايا معرفية مختلفة وان أكون عمليا في الطرح والمعالجة.

وبعد ثلاث سنوات ونصف، التحقت بالجامعة حيث رأيت فيها متنفسا كبيرا للحرية الاكاديمية، حيث لا رقيب فيها سوى البحث العلمي المنجز من جهة والطالب بالنسبة للدروس وللمحاضرات من جهة أخرى. وهذا الرجوع رافقه رجوع الجانب النظري من جديد والتخلي جزئيا عن الجانب العملي الذي يبقى محدودا نسبيا مقارنة بالعمل الميداني والبحث التطبيقي. من هذه المراوحة تولدت لدي المعادلة النظري-العملي حيث كانت جل الدروس التي أمنتها مزيجا من الاسس النظرية التي لا مهرب منها ومن الجوانب العملية والتطبيقية التي تؤهل الطالب على معالجة المشاكل التي يواجهها على الميدان وحلها دون الاكتفاء بالتوصيات.

في هذا الإطار، سعت قدر امكان إلى ادخال العديد من المسائل التي كانت غائبة في مستوى الاجازة او الماجستير او كذلك رسائل الدكتوراه من حيث التطرق إلى مواضيع مستجدة ومناهج مستحدثة.

فقد عملت على التخصص في مشاغل جديدة للجغرافيا من ذلك دراسة الشبكات والأدفاق والتبادل المجالي بصفة عامة في مرحلة دكتوراه المرحلة الثالثة والاهتمام بالتنظيم المجالي والتنمية والتهيئة الترابية على المستوى العام وعلى مستوى البلاد التونسية في إطار دكتوراه الدولة. كما عملت على ادخال بعض المواد تتناغم مع هذا التوجه تمثلت أساسا في دراسة المنظومات الحضرية وتوزعها المجالي، دراسة الشبكات النقلية على المستوى الطبولوجي والوظيفي والتنظيمي، المنهجية، ابستمولوجيا الجغرافيا، تحليل المعطيات، المنظومات...

وقد توج هذا المسار بنشر عدة كتب في مختلف الاختصاصات من طرف كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ومركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ومركز النشر الجامعي بالإضافة الى العشرات من المقالات قاربت 130 تناولت مختلف الجوانب.

## بين الكوني والمحلي

كانت قناعاتي تتمثل في ان التجديد لا يمكن الا ان يندرج في إطار الكوني مع العمل على ادراج المحلي في ذلك السياق، وعدم الاكتفاء بالمحليات بمعزل عن السياق العام للمسار العلمي. في هذا الإطار تنتزل الاعتناء بالجغرافيا النظرية والابستمولوجيا، بالمنهجية وبالتنظيم المجالي عامة على مختلف المستويات.

## المنهج والنقد

في هذا السياق، كان المنهج والنقد يمثلان متلازمة ثابتة هامة في المسيرة البحثية والتدريسية. فقد حاولت، قدر الإمكان وبالإمكانات المتوفرة بطبيعة الحال، ان أركز على "كيف" تتم أي عملية؟ (Comment)، وعدم الاكتفاء بالوصف والتوصيف والاستقراء وفي هذا الإطار تم الاعتماد أكثر على المقاربة الافتراضية-الاستنتاجية (-démarche hypothético-déductive). وتم كذلك التركيز على السؤال "لماذا" تتم الأشياء بهذا النسق بهذا الشكل؟ (Pourquoi)، بمعنى من يوجد وراءها ومن هو المستفيد (Qui) من ذلك ومن كل تنظيم مجالي معين خاصة بالنسبة للمنظومات الاجتماعية والسياسية التي تكون فيها القصدية. فلماذا انتظم او ينتظم المجال بشكل دون آخر؟ وهل ان إمكانات أخرى كانت ممكنة؟ ولفائدة من تم إرساء او اعتماد هذا التنظيم المجالي؟ من هنا ندرك أهمية الجغرافيا النقدية والراديكالية التي برزت للوجود مع نهاية السبعينات ولم تتطور الا مع الثمانينات ومن بعدها.

في هذا السياق، تفتنت أي مع حصولي على الاستاذية في الجغرافيا، تخيل لي لفترة أي بلغت القمة العلمية في هذا الاختصاص وكيف لا؟ لكن عندما اردت التسجيل في شهادة دكتوراه المرحلة الثالثة، تفتنت الى وجود جغرافيا أخرى او جغرافيات أخرى لم اسمع بها سابقا تختلف عن كل ما درسته من حيث الاهتمامات والمناهج وكان ذلك منطلقا للتعلم من جديد والرجوع الى الإنجليزية كما اكتشفت جوانب كانت خفية على او تم تناسيها تماما.

## تبادل علمي وتقاسم معلومة

لقد لفت انتباهي طوال المسيرة العلمية طغيان الفردانية والانعزال وقلة التعامل الجماعي في البحث العلمي مما أدى بي عندما سنحت الظروف التكنولوجية من انتشار الأنترنات والاستعمال المتزايد للحواسيب الى وضع كل النصوص التي كتبتها في شكل مداخلات، مقابلات، منشورات أو نصوص غير منشورة على ذمة القاري سواء كان طالبا او باحثا او أستاذا في شكل موقع شخصي منذ 2003 مما يمكن أي شخص من الاطلاع على العديد من

الوثائق والتواصل مع الآخرين. وتقد تغيرت البوابات الحاضنة للموقع العديد من المرات إلى أن استقرت منذ 2013 عند بوابة: <http://amorbelhedi.unblog.fr> Unblog:

بالإضافة إلى ذلك، تم سنة 2012 خلق مجموعة على موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك Facebook موجهة إلى كل المعتنين بالجانب المجالي سميت جيونات (Géonet) وهي تشكل منصة تبادل على الأنترنت لكل مهتم بالبعد المجالي ودراسة الأوساط والمجالات والترابات في تونس أو في الخارج، على المستوى المحلي أو الكوني من جغرافيين ومؤرخين ومعماريين ومهندسين وعلماء الاجتماع والنفس وعلماء السكان والمختصين في التهيئة او التنمية او منظومات المعلومات الجغرافية او الجيوماتيكا او الخرائطية وغيرهم من الاختصاصات. وكانت المجموعة تقتصر في البداية على البلاد التونسية حيث كانت تسمى Géonet Tunisie وتوسعت لكي يشمل مساهمات البلدان الأخرى من تونس والمغرب والجزائر وفرنسا وغيرها من البلدان وذلك بعدم الاقتصار على البلاد التونسية:  
<https://www.facebook.com/groups/geo.network>

## أهمية [مطالعة

في النهاية لابد أن أشير إلى أهمية المطالعة ومن ذلك المكتبة العمومية، موضوع هذا الملتقى. فالمطالعة لاتحد من الانقطاع المدرسي وتحفيز المتعلم فحسب، بل تساعد كذلك على النجاح والتميز وفتح الأفاق فيما بعد في المستويات العليا وفي المسار المهني. فالمطالعة تؤدي إلى حسن الاطلاع، وتنمية التفنح والذاكرة والخيال وتنشيط الذكاء، كما أن المطالعة ترتبط باللذة الفكرية التي تتواجد عند القراءة التي يحس بها المطالع في تعامله مع الكتاب والمكتبة.

في هذا الإطار، اذكر ثلاث أشياء أولهم تكوين مكتبة "أهلية" عندما كنا في السنوات الأولى للتعليم الاعدادي (الثانوي في النظام القديم) حيث من منطلق تطوعي قمنا بها كتلاميذ بالسنوات الأولى على تكوين مكتبة كانت حافزا على تشجيع المطالعة بمقابل زهيد جدا، على ما أذكر يتمكن أي واحد منا استعارة قصة او كتاب لمدة قصيرة.

كما أذكر عندما كنت مقيما في المعهد الثانوي، كنت مشتركا في المكتبة العمومية واقوم في كل أسبوع باستعارة كتابين أقوم بقراءتهما خلال أيام الأسبوع. وكنت حريصا على حسن اختيار الكتب واتذكر جيدا كيف كنت امضي كثيرا من الوقت لحسن اختيار هذه الكتب لكي لا أبقى دون مطالعة. واتذكر جيدا كيف قرأت في هذا الإطار كتب فلاسفة الأنوار مثل فولتير (Voltaire)، وروسو (Rousseau)، وديدرو (Diderot) وكذلك كتب على النسبية لأنشتاين (Einstein) وتمدد الكون وتكون الكون والأرض وغيرها من الكتب. وواصلت في هذا المسار حتى الجامعة حيث كنت اقرا العديد من الكتب في عدة اختصاصات لا علاقة لها بالاختصاص في الظاهر كعلم النفس والاقتصاد السياسي وعلم الاجتماع والفلسفة والرياضيات... ولكن تفتنت فيما بعد إلى أهمية الاطلاع والمطالعة لفهم الاختصاص الضيق.

وفي هذا الإطار، كنت دائما انصح الطلبة بعدم الانغلاق وعدم الاكتفاء بالقراءات التي تهم البرنامج او الاختصاص، حيث كنت أقول لهم: كلما توسعت آفاق قراءاتكم، كلما تمكنتم من الإمام وفهم اختصاصكم ضيق. فلفهم جغرافيا يجب الاطلاع على الاختصاصات الأخرى. فكلما توسع الحقل المعرفي كلما تمكنا من فهم أكثر للاختصاص الدقيق ومن حذقه وتمثله والتميز فيه وذلك بالاطلاع ولو بصفة محدودة على مختلف الزوايا وعدم التغافل عنها عند دراسة الظواهر. فكلما ضاقت المساحة والزاوية، فإننا نميل الى الاقتصار على الذاكرة والحفظ والتلقين.

في، الختام، أتمنى لكم كل النجاح في اعمالكم خلال هذا الملتقى الذي سيتناول المسألة من جوانب عديدة وشكرا لكم على حسن الانتباه والانصات.